العربية والعولمة اللغوية

د. ناصر إبراهيم النعيمي
جامعة العلوم الإسلامية العالمية – الأردن

اللغة في الحياة

اللغة قوام الفكر والثقافة، وهي ميراث اجتماعي عريق ؛ إذ هي موقف وسياق حياة دافقة فياضة، زاخرة بالعلاقات والتفاعلات والمعاني المضمرة، وهي أبرز مقومات الشخصية؛ إذ إنها الإطار الذي يحفظ أصحابها ويحدد هويتهم، فضلاً عن أنها مرآة العقل، ووعاء الأفكار، والمشاعر.

واللغة من أهم الوشائج الاجتماعية بين أبناء الأمة؛ إذ هي وسيلة تخاطبهم التي تقوم بها الصلات والروابط، فتحقق تبادل المنافع، وقضاء المصالح بين الأفراد والعالم كله، فتربط الأفراد بعضهم ببعض، فيقوى بناء المجتمع وتتماسك لبناته، وتصير عنواناً لهوية أفراده وشخصيتهم، وهي أداة التواصل بين الماضي والحاضر، ومن ثم يحرص المخلصون على رعاية لغتهم وحمايتها من الذوبان في غيرها؛ حماية لقوميتهم، وتأكيداً لذاتيتهم ووحدتهم؛ فهي العمود الفقري للقومية.

ليس هذا فحسب بل إنّ اللغة هي الأمة نفسها ؛ فهي المكون الرئيس لهوية أيّ أمّة من الأمم ؛ إذ تختزل نتاجها الماضي، وتصنع حاضرها ؛ فهي العنصر المتين الذي يشدّ الأمة بعضها ببعض، فالأمة التي تجتمع على لغة واحدة يكون أفرادها متماسكين، ومترابطين ؛ لأنّ اللغة كانت وما زالت وستظل روح الأمة ونَفَسُها الذي من خلاله تتطور الأمة وتتقدم.

من هنا، لا يمكن أن نفهم اللغة بمعزل عن منبتها الطبيعي الأصلي، ألا وهو المجتمع ؛ لأنّ الإنسان عندما يتكلم، فكلامه "ليس مجرد تحريك للسان أو اهتزاز في الحنجرة، أو إصغاء، إنّه أكثر من ذلك نتيجة لعمل العقل في تأدية وظيفته كمدير للعلاقات ؛ لتحفظ عليك سيرك في المحيط الذي تعيش فيه"[1]، يقول ابن حزم الظاهري إنّ اللغة : "يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها، وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة، والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم، وأخبارهم وبيود علومهم"[2].

فالعلاقة بين اللغة وأهلها كعلاقة الروح بالجسد ؛ فالأفراد يتنفسون ويتواصلون من خلال اللغة، فإذا غابت اللغة عن المجتمع، مات المجتمع وتاه. وإذا غابت حاضِنة اللغة، فلا حياة للغة البتة ؛ فاللغة هي الإنسان، والإنسان هو اللغة ؛ فهما كوجهي العملة الواحدة لا وجود لأحدهما دون الآخر، يقول "ويلهم همبولت": وشكرا للغة التي صار فيها الإنسان إنسانا"[3]. فاللغة تحيا بالإنسان، والإنسان يحيا بها كذلك، فلا مفاضلة بينهما من حيث الواقع العملي، فاللغة –كما يقول – هادي نهر: "قطعة من الحياة نشأت فيها، وسارت معها، وتغذت بغذائها ونهضت بنهوضها، وركدت بركودها، وكان تاريخ اللغة وستظل مجالا رحبا نتصفح من خلاله تاريخ الحضارات الإنسانية، ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته، وحجمه، تؤدي اللغة دورا ذا أهمية أساسية ؛ بوصفها من أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع، وهي في الوقت نفسه رمز لحياتهم المشتركة، وضمان لها"[4]. وعليه، فاللغة قاعة مشتركة بين أبناء المجتمع، وليست

(1) مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد أحمد أبو الفرج، بيروت، 1966م، ص 28.

(2) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الحديث– القاهرة، ط1، 1404 هـ 31/1.

(3) اللغة بين العقل والمغايرة، مصطفى مندور، الإسكندرية، 1974م، ص 19.

(4) اللسانيات الاجتماعية عند العرب، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 1998م، ص 19.

خاصة بفئة دون أخرى، بل لطبقات المجتمع كافة . لذلك فاللغة "لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والتواصل، فهي حلقة من سلسلة النشاط الاجتماعي المنتظم، وإنها جزء من السلوك الإنساني، وهي ضرب من العمل، وأداة عاكسة للفكر، والعمل الاجتماعي وأصل مختلف الظواهر، والنظم الاجتماعية"[5].

من هنا فإنّ الاهتمام بدراسة اللغة، لا يرجع إلى البعد الأكاديمي فقط، بل يعود أيضا إلى حياة الأمة ونشاطها ومناحيها كلّها. قال دي سوسير: إنّ اللغة مؤسسة اجتماعية، ينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها ومشاعرهم النفسية[6] ؛ لأنّ اللغة هي "مرآة الإنسان بل هي الإنسان نفسه، والإنسان سلوكا، وفكرا، ومادة، وعقلا كائن معقد، من أي جهة نظرت فيه وإليه وجدت جديدا يستحق النظر والتأمل. وكذلك لغته فهو صانعها وهي صانعته، تتغلغل في نفسه، وتجري في عروقه وهو بدوره يمنحها نفسه ومن نفسه يبتدعها ويرعاها، يرويها ويغذيها بقدر ما لديه من عناصر الري والغذاء، وبقدر حاجاته ومتطلباته في حياته المتغيرة"[7].

ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي؛ فالوحدة اللغوية بين الأقطار العربية تؤدي إلى وحدة الشعور والفكر والاتجاه؛ إذ هي الجامع النهائي لنا، وهي الدرع الواقي لأمتنا في مواجهة جحافل الغزو الثقافي إبان عصر المعلومات، وهذه حقيقة يدركها الجميع؛ لأنها لغة القرآن الكريم، والعنصر الرئيس في توحيد الأمة الذي يرتفع فوق العصبيات والقوميات، وإلى ذلك أشار سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بقوله: «تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم»[8]، بمعنى هي العقيدة نفسها، فحرصك على اللغة العربية كحرصك على

(5) اللغة والمجتمع، محمود السعران، القاهرة، 1963م، ص11.

(6) انظر: دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب صالح القرمادي، ومحمد الشّاوش، ومحمد عجيينة، الدار العربية للكتاب، الفصل الثالث: منزلة اللغة ضمن الظواهر البشرية، ص36- 39.

(7) علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 60.

(8) اقتضاء الصّراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشيد، الرياض، 475/1.

العقيدة عينها، فإذا أضعت اللغة أضعت الدّين، فمنزلة اللغة من الدّين كمنزل الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس زال الجسد، وكذلك اللغة إذا ضاعت وذابت طمس الدّين وانمحى، وإلى قريب من هذا أشار الإمام ابن تيمية –رحمه الله– عندما قرر أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله[9]، وأضاف ابن تيمية: "واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدّين تأثيراً قوياً بَيِّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدّين والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنّ فهم الكتاب والسّنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[10]. ويقول ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير : "إنّ القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي : متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان"[11].

ومن هنا فإن تعلم اللغة العربية، وتعليمها واجب ديني عقدي، وإنّ التحدّث بغير العربية يعدّ من خوارم المروءة، فقد رُوِيَ أنّ أبا عمرو بن العلاء (154ه) كان يقول: "لَعِلْم العربية هو الدّين بعينه"[12]، ولابن فارس (395ه) كلامٌ نفيس في فضل العربية في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها)، حيث يقرر أنّ العربيّة لغةٌ مصونةٌ مرعيَّةٌ برعاية الله، وهي أعلى لغةٍ؛ لنزول أعلى كتابٍ بها، وأعظم دين[13]، ويقال: حُلِيّ الرّجال العربيّة،

(9) انظر: السابق نفسه، 470/1.

(10) السابق نفسه، 471/1.

(11) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1/ 18.

(12) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين، أبو عبدالله ياقوت الحموي، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص10.

(13) انظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: محمد علي بيضون، ط1، 1997م، 33/1.

وحُلِيّ النّساء الشّحم. قال سعيد بن سلم: "دخلت على الرشيد فبهرني هيبة وجمالاً، فلما لحن خف في عيني"[14]. وقال ابن جني: أن أكثر مَن ضلّ مِن أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنما استهواه (واستخفّ حِلمه) ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافّة بها وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها"[15].

وكان نزول القرآن الكريم باللغة العربيّة – لحكمة بالغة وتدبير حكيم – إيذاناً بحياة لغوية جديدة، وهي حياة العالمية والخلود ؛ لأنّ اللغة العربيّة هي الوعاء الذي أراد الله أن يحمل به هذه الرّسالة العالميّة، فالحامل والمحمول محفوظان بحفظه تعالى، قال الله –عزّ وجلّ– **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾** [الحجر: 9]، فالقرآن الكريم هو من خلّد العربية، ومدّها بعناصر الحياة، والانتشار، يقول مصطفى صادق الرافعي : "لولا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض، أسود، ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطق العرب بألسنتها، وكيف تقيم أحرفها، وتحقق مخارجها "[16] .

وعلى هذا فالدّين الإسلامي واللغة العربيّة رسالتان عالميتان، وهما متلازمان، ويؤكد هذه الحقيقة الشيخ محمد متولي الشعراوي عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107]، يقول: "فقبْل رسالة محمد– صلى الله عليه وسلم– كان هناك انعزال في الدّنيا، لا توجد اتصالات بين المجتمعات البشرية، وكان كل مجتمع بشري يعيش وينتهي دون أن يدري مجتمع بشري آخر في مكان بعيد عنه... ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة، وأمراضه، وانحرافاته، وغفلته عن الدّين، وكانت الرسل تأتي إلى هذه

(14) انظر: معجم الأدباء، أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، 4/1.

(15) الخصائص، ابن جني، تحقيق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 245/3.

(16) إعجاز القرآن والبلاغة العربية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العربية، بيروت، ص 80.

المجتمعات لتذكِّر بمنهج الله، ولكنها كانت ترسَل إلى مجتمع بعينه، كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، فكان هناك انعزال، وكان هذا الانعزال يجعل الداءات مختلفة، ويتم إرسال الرّسل إلى كل مجتمع لتذكير أهله. ولكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى، توحدت الداءات... تكاد تكون هناك وحدة الآفات في العالم كله، آفة البشرية واحدة في البلاد المتقدمة، وفي البلاد غير المتقدمة؛ لأنه حدث التقاء بشري... وما دامت الآفات قد توحدت نتيجة للاتصال البشري الكبير الذي تمّ، فلا بدّ من وحدة المعالجة، وهكذا أنبأنا الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم منذ وقت نزوله بأنّ العالم سيتقدم ليصبح وحدة واحدة، وأنّ الآفات في العالم تكاد تتوحد نتيجة الاتصال السريع بين أجزائه، ولذلك لا بدّ من وحدة المعالجة، فأرسل هذا الدّين رحمة للعالمين... وما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، فمعنى ذلك أنّ الدّين الّذي سيأتي به سيعالج آفات العالم"[17].

اللغة هُوية الفرد :

الهُوية مفهوم يتعلق ويتماشى مع مفهوم الثقافة في مجمل التعريفات الّتي تتناولها، فهو مفهوم ثقافيّ تاريخيّ يتكون لدى الفرد من خلال ثقافته الّتي يعيش فيها، فدور الثقافة والأخلاق السّائدة في كل مجتمع هو تكريس هوية خاصة تدفعه إلى انتمائه لأمة معينة، لكن هذا الانتماء يحتاج على الدّوام إلى تفاعل التكون النفسي مع عملية اندماج تاريخية، وثقافية ونفسية، واقتصادية تستغرق زمناً ليس بالقصير، مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية، بصفته الرّحم الذي تنمو فيه، والقابلة التي تولِّدُه صحيحاً وسليماً، وبدونه لا يمكن تصور وجود هوية طبيعية وسليمة، يقول منيف الرّزاز: "التّراكم التاريخيّ ضروريّ لصنع الهوية الثقافية؛ لأنها في النّهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية، نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها، وبين الظروف الطبيعية، والتاريخية التي مرّت

(17) انظر: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، مؤسسة الأهرام، ط8، 1995م، 1/50-51.

بها، التي نسجت فيما بينها روابط مادية وروحية مشتركة، أهمها وأعلاها رابطة الدّين واللغة"[18].

والهوية بهذا المعنى: حنين وتعلق بالنسبة للفرد والجماعة. والإيمان بها يسبق المعرفة؛ لأنها ترتبط بالوجود الأزلي للإنسان وبعد وجوده تصبح قدراً محبباً، وفي هذا الإطار قال الفارابي: "هوية الشيء هي عينيته ووحدته، وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المنفرد له كلّ واحد، وقولنا إنّه (هو) إشارة إلى هويته، وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[19]، فثمة مطابقة بين الفرد وهويته، وثمة خصوصية بينهما كالبصمة لا يشترك فيها أحد سواه.

وكذلك تعدّ الهوية بمثابة الوجود الاجتماعي لمجموعة من البشر تربطهم لغة مشتركة، ومصالح مشتركة وتقاليد مشتركة وأرض مشتركة، تعبر عن اندماج الصلات الإنسانية كما تندمج موجات المياه حينما تلقي حجراً في بركة ماء، فتتكون أولاً حلقة صغيرة ثم أكبر فأكبر، والأمة هي الحلقة الأكبر في درجات اندماج حركة المجتمع الإنساني، وهي لذلك تحتوي الحلقات الأصغر والأقدم منها، وتصهرها، وتحولها إلى عنصر مندمج في ثقافة الأمة المتبلورة في هوية واحدة مشتركة، ففي عالم لا يمكن للإنسان أن يعيش فيه إلا إذا كانت له هوية مميزة تقررها لغته بصفتها المظهر الأول الذي يتعامل معه الإنسان، فأنت حينما ترى إنساناً لا تعرفه تبدأ بالتعرف إليه من خلال لغته، ثم تتعرف على ثقافته وتقاليده، فالهوية بهذا المعنى لا يمكن أن تصبح مفهوماً عرقياً، ولا حركة عدوانية أو توسعية، بل هي: حركة دفاعية في عالم يسوده هوس العولمة ومنطق القوة، فوجود الفرد مرتبط ببقاء هويته ؛ " فأن تُوجَد، أو تكون موجودا يعني حتما أن تكون لك هوية . فالهوية بوصفها عين التشخيص والتعين، وبوصفها عين التميّز عن الآخر هي صنو الوجود ...، لذلك كانت الهوية والوجود

(18) الأعمال الفكرية والسياسية، منيف الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985م، 25/5.

(19) الفارابي في حدوده ورسومه، جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1985م، ص 632.

الإنساني متلازمان، وبالتالي لا يمكن التضحية بأحدهما دون التضحية بالآخر، فمن يفقد هويته، يفقد وجوده، تماما كما يفقد النهر وجوده، بمجرد أن تتحرك هويته ليتلاشى في البحر، عندما يصبح بحرا لا نهرا"[20].

وعليه فاللغة من أهمّ المقوّمات المبينة لجنسية أيّ فرد أو جماعة، وهي التي تحدد الهوية اللغوية، يقول ابن خلدون: "فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هُجرت كلّها في ممالكها ؛ لأنّ الناس تبع للسلطان، وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب"[21]، وأضاف في هذا المعنى مرة أخرى بقوله: "اعلم أنّ لغات أهل الأمصار، إنّما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية"[22].

العربية والعالميّة

تواجه الأمة العربيّة الإسلاميّة اليوم خطر التهديد تحت تأثير منطق القوة. وأنّ الأمم القويّة ستفرض عليها علمها، وثقافتها، وآدابها وحتّى لباسها، وطعامها، وشرابها، وهواءها...إلخ، وذلك من خلال خطاب العولمة التي هي في مضمونها الواقعي لا تعني سوى نَفْي هويات الآخرين وطغيان نموذج الهوية الثقافية للدول القوية؛ حيث تفرض هذه العولمة نموذجاً غربيّاً معيّناً يحمل في طيّـاته شحنات فكرية وقيـماً غريبة عن المجتمعات الضعيفة، شأنهم في ذلك تحقيق معتقدهم: إنّنا أسياد العالم المبعوثين إليكم بالفضل والعدل، فمن يطع ويستجب ينل من الإِنعام والإِكرام الكثير، ومن عصى والْتَوى، فَبِنَار العولمة احْتَرَقَ أو اكتوى.

(20) الهوية من منظور فلسفي إسلامي، مصطفى الحاج علي، مجلة المنطق، ع 99، 1413هـ، بيروت، ص 22.

(21) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق، عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون- بيت الفنون والعلوم- الدر البيضاء، ط1، 2005م، 901/3.

(22) المصدر السابق نفسه، 900/3.

يقول محمد عابد الجابري في تعريفه (العولمة الثقافية) بأنّها: "نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، وأنّها نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال، كما يشمل أيضاً مجال السياسة والفكر والإيديولوجيا"[23]، ويعرفها صادق جلال العظمة قائلاً: "العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً، إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل، والتوزيع والسوق والتجارة، إلى عالمية دائرة الافتتاح وإعادة الإنتاج ذاتها"[24]، أي إنّ ظاهرة العولمة نشهدها بداية عولمة الإنتاج، والرأسمال الإنتاجي، وقوى الإنتاج الرأسمالية، ونشرها في كل مكان مناسب وملائم خارج مجتمعات المركز الأصلي، مما يعني أنّ بداية المصطلح كانـت اقتصادية، ويضيف حيدر إبراهيم حديثاً – مهما، وعميقا – في بيان المقصد الحقيقي من العولمة فيقول: "إن العولمة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء، أو التذويب، بل تعيد تشكيلها؛ لأنها ارتبطت بالاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وإذا تحول العالم إلى لغة مشتركة فإن هذه اللغة ستكون الإنجليزية بطبيعة الحال أو لغة أوروبية أخرى، وهي لغة الاقتصاد والبحث والتكنولوجيا"[25]. وعليه فالعولمة تسعى إلى تحقيق استراتيجية الاختراق والاحتراق للأمم والشعوب في العالم أجمع، بدءاً بالبشر وانتهاءً بالحجر، وربما العكس. بحيث تصبح شعوب العالم جله تبعاً لمراكز القوة فيه. ليس هذا فحسب، بل إعادة هيكلة التاريخ الإنساني وفق رؤيتهم وقناعاتهم، وذلك بأسلوب واستراتيجية عصرية تتناسب مع تطورات الحياة والتقانة و(التكنولوجيا)، إذ استطاعت الدول القوية بسبب الهيمنة التي تفرضها العولمة تحقيق الشق الأول من هذه الاستراتيجية بفضل تكنولوجيا الاتصالات المتطورة التي تغزو كل مكان في العالم بكل يسر وسهولة ؛ إذ تشير الدراسات الإحصائية إلى أن نسبة حجم المحتوى الإنجليزي على الشابكة ما تزيد عن 90%، أمّا نسبة

(23) عشر أطروحات حول العولمة والهوية والثقافة، محمد عابد الجابري، دار المستقبل العربي للنشر، الأطروحة الرابعة، ص228.

(24) ماهية العولمة، صادق جلال، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص13.

(25) العولمة وجدل الهوية والثقافة، حيدر إبراهيم، مجلة عالم الفكر، ص107.

حجم المحتوى العربي -كما ذكر الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية الدكتور سلطان أبو عرابي في مؤتمر جامعة الإسراء بعمان: (إثراء المحتوى العربي على شبكة الإنترنت) في 27/ جمادى الأولى/1433هـ، الموافق 29/نيسان/2012م- لا يتجاوز 3% مقارنة مع دول العالم الأخرى. وأنّ هناك 97% من سكان العالم يتكلمون 4% فقط من اللغات، وهي: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية[26].

ومما لا شك فيه أنّ العولمة تجد طريقها في مجتمعات مفرَّغة من الأصالة والجذور التاريخيّة؛ لأنَّ المخزون الثقافي لهذه المجموعات ضحلٌ، ولا يمكنه تسخير الفكر العالمي لمصلحته القومية، بالتفاعل الصحيح في مختبرات وطنية سليمة من الشوائب والتشويش؛ فالمجتمعات المتخلِّفة أو المتوسطة التنمية هي التي تُذاب أو تذوب حين تخترقها العولمة، قال ابن خلدون: "إن الأمّة إذا غُلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء"[27].

اللغة العربية مقوّمات لا تنضب

كانت اللغة العربية وما تزال وستبقى ملاذاً لكلّ المفكرين العرب وغيرهم ؛ فبها أثبتوا إبداعاتهم وابتكاراتهم، وبها نشروا الفكر الإسلاميّ، الذي ما زالت آثاره في العلوم الحديثة حاضرة . فاللغة "منزل الكائن البشري، ومرآة فكره، يلجأ إليها لتأكيد وجوده، وينطلق بها لتحقيق رغباته، ولكنّ المنازل تغنى بسكانها، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة إليها، والوجوه المصورة عليها، فإذا هاجر السكان أو ماتوا، خلت المنازل، وافتقر غناها، فهم روحها التي بها تحيا، فاللغة العربية مرتبطة ارتباطاً مصيرياً وحتمياً بأبنائها، فعندما كان العرب في عصورهم الذهبية أغنت اللغة العربية العالم بالعلوم والمعارف، وأثبتت قدرتها

(26) انظر: مدخل إلى ظاهرة انقراض اللغات للدكتور حسيب شحادة .www.diwanalara.com

(27) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق، عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون- بيت الفنون والعلوم- الدر البيضاء، ط1، 2005م، 73/1.

على الانتشار والتوسع والاستيعاب والتواصل الفكري الإنساني، فاستطاعت اللغة العربية أن تجعل من نفسها ناطقاً بمفاهيم الحضارات، حين سلمتها تلك الحضارات قيادتها، ولكنّ الفرد العربيّ المعاصر يعيش اليوم أزمة هروب من الذات، وينغمس في حالة تغريب عن أصالته ووجوده، فانعكست الأزمة سلباً على الواقع اللغويّ، ووسمت اللغة بالعجز والقصور عن مواكبة التطور العلميّ والحضاريّ. ولكن، إنّ العجز الحقيقيّ، في رأينا وفي رأي أغلب المفكرين العرب الغُيُر، ليس في اللغة نفسها بل في المقيمين عليها، والدليل على ذلك الواقع العربيّ: "فعندما كان العرب أقوياء كانت لغتهم قوية، فابتكروا آلاف الكلمات والمصطلحات ومئات العلوم واتسعت لغتهم لكل جديد مهما كان مصدره"[28]، فالعجز كامن في ممارسات الإنسان العربيّ، وليس في اللغة التي تحتاج في نماء مفرداتها وتطور دلالاتها إلى نخبة تؤمن بقدراتها الذاتية، وقابليتها للاكتساب والتطويع، وهذا مرتبطٌ بإعادة الثقة بالانتماء إلى الأمة العربية، وبطاقات اللغة؛ لأنّ العلاقة بين الإنسان العربي ولغته علاقة تكاملية حتمية، فلا وجود له من دونها، ولا وجود لها من دونه، ولذلك نجد أنَّ تخلفنا عن ركب الحضارة ناتج عن جهل المثقف العربي بخصائص لغته التي بها تُدوَّن العلوم والمعارف والمصطلحات، وتُحْفَظ ثمار الفكر، وتسجَّل الملاحظات وأشكال الابتكارات، وتتحدد قيمة المنتج.

فمما لا شك فيه أنّ العلاقة بين اللغة والفكر علاقة متينة ؛ فاللغة هي التي تستوعب الشكل والمعنى الجوهري لنتاج الفكر، إذ تحوّل اللغة المرئيات ألفاظاً تشير إلى المعنى الحاصل في العقل، فإذا عبَّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أمام اللفظ المعبَّر به عن هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وآذانهم، صار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فالصورة الذهنية المتشكلة في الفكر هي الرابط بين اللفظ "الدال" والشيء الخارجي

(28) تهذيب المقدمة اللغوية، أسعد علي العلايلي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 1985م، ص41.

"المدلول عليه" الشيء الحقيقي، فهي إذاً -أي الصورة الذهنية- الفكرة المتولدة عن الظاهر المرئي والمعبَّر عنه بالصورة اللفظية الخارجية أو الصادرة أو المنعكسة عن الفكرة، فالتعبير اللغوي مرتبطٌ بالمحيط الاجتماعي، وبالقدرات الذاتية للمختبر الذهني اللغوي؛ لأن الألفاظ انعكاسٌ صادرٌ عن اختراق شعاع الصورة المرئية للحواس العقلية، فيتم التعبيرُ عن المعنى الممكن الإحاطة به، من خلال العلاقة بين الرمز والمرموز إليه، المرئي بالشكل والصورة والإدراك العقلي، فعملية تشكُّل المعنى تتم في ترتيب رياضي هندسي مثلث الرؤوس والزوايا والأضلاع، وهذه العلاقة لا تُدْرَك إلا بالعقل؛ لذلك يستحيل تحقق الإبداع إلا باللغة القومية، ولذلك يمكن القول إنّ عجزنا عن استيعاب مقومات اللغة العربية أفقدنا طاقاتنا الابتكارية.

وتشكِّل العلاقة بين الدال والمدلول والمنتج العقلي معادلة رياضية، فأي تغيير في حدٍّ من حدود المعادلة يؤدّي إلى تبدُّلٍ حتمي في الحدود الأخرى، مما يقود إلى الاعتقاد بضرورة اعتماد هذه المعادلة أساساً في دراسة النظريات اللغوية، فلا تُدرس اللغة إلا من ضمن معطيات اللغة المنبثقة عن حدود المعادلة السابق ذكرها، وكلّ محاولة تهدف إلى اعتبار اللغة شيئاً يمكن قياسه من الخارج من دون نظرة داخلية بالفكر إنما تبوء بالفشل، وليست اللغة رصفاً من الألفاظ ولا جمعاً لمفردات دون وعي أو انتباه، إذن، فاللغة نتاج الإدراك العقلي، والإدراك العقلي السليم متجسد بمنهجية المنطق، وما يولده من علاقات لغوية، لها دلالاتها في عملية التواصل، تكتسب الألفاظ دلالاتها في السياق من معانيها المعجمية، ودلالاتها الصرفية والنحوية ذات الخصائص الثابتة التي تمنحها هويتها الشخصية.

وتعدّ القوانين اللغوية أساساً في البناء الهندسيّ اللغويّ، وعاملاً رئيساً في تنظيم وحداتها الصغرى والكبرى، وحارساً أميناً على سلامة العمليات اللغوية، فاحتفظت هذه القوانين بأسرارِ جمالية البناء النسقي للغة العربية وأشكالها الفنية،

وحافظت في الوقت عينه على أصولها وأسسها وأنظمتها، فلم تتغير مذ كان للغة العربية هويتها الذاتية والمستقلة، ولم تتأثر القوانين بالألفاظ التي زال استخدامها، أو بالألفاظ التي تغيّرت دلالتها مع التطور اللغويّ، أو مع الألفاظ الأعجمية التي دخلت لغتنا وصارت جزءاً منها، ولم يؤثر التبدُّل الشكلي اللغوي في بنيتها النحوية أو الصرفية.

من هذا المنطلق، نحن لا نخاف على لغتنا من زحف العولمة، كونها لغةً حيّة محصَّنة بقوانين تشكلها الداخلي التي تساعدها على استيعاب ما تنتجه العولمة، وما تقدمه من مصطلحات، يمكن تطويعها ومنحها بعضاً من خصائص اللغة الذاتية، وإكسابها هوية عربية، فتضاف بذلك ألفاظٌ جديدة إلى العائلة اللغوية العربية، وتنمو المفردات، وتتطوَّر الدلالة اللفظية، فينحسر الخوف من المصطلحات الجديدة بالتداول والاستخدام، قال ابن جني: "فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرَّف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، فقد حُكِي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سُبِقا إليها. وعلى نحوٍ من هذا قال أبو عثمان: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[29].

ولقد أثبتت لغتنا عبر تاريخها بأنها لغة تطويع وليونة، وهي قادرة على استيعاب العلوم بألفاظٍ عربية بعد تطعيم اللفظ الأعجمي بجينات ألسنية عربية، تم التوصل إليها بأسلوب علمي قائم على القياس، فما جاء قابلاً للقياس دخل في حقل التداول المعجمي العربي، ولم يغفل علماء اللغة الأوائل ذلك فقالوا: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها.

تمتلك اللغة العربية العديد من المقومات والذخائر، فلو ذهبنا – على سبيل المثال – إلى أبنية الأفعال الثلاثية المجردة العملية – أي الموظفة والمستخدمة حقيقة – في اللغة العربية لوجدناها ثلاثة فقط (فَعَل، فَعِل، فَعُل)، في حين أنّ

(29) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 25/2.

القسمة العقلية تقتضي اثني عشر بناء، وقس ذلك على الفعل الرباعي المجرد، فالبناء العملي المستخدم في جسم اللغة العربية بناء واحد (فَعْلل) فقط، في حين إنّ القسمة العقلية تقتضي ثمانية وأربعين بناء أو قالباً، ومعنى ما تقدم وما أريد إيصاله أن في جعبة اللغة العربية مخزوناً هائلاً من القوالب والأبنية التي تشكل طاقة كامنة في جسم اللغة العربية، وهذه المزية قلّ أو انعدم نظيرها في اللغات الأخرى، الأمر الذي حُقّ للغة العربية أن تفاخر به اللغات العالمية جلها؛ فهي لديها من الإمكانات ما يمكنها من هضم كلّ جديد وقولبته بمصنعها الخاص. يقول المستشرق يوهان فك: لـ"قد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية –باستثناء البابلية القديمة– قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم الصراع حول غاية هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية قبل الإسلام، وفي عصوره الأولى ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان"[30].

واللغة – بالضرورة – ترتبط بالبيئة والإقليم والطبائع البشرية، واللغة تتشكل ممّا يسمعه الفرد ويراه منذ اللحظة الأولى لولادته، وهذا واضح بقوله تعالى: "والله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل، 78)، فهي ملكة تكتسبها الأذن والعين بشكل خاص، ويترجمها العضو الفاعل لها وهو اللسان[31]، وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، ولا تكون اللغة إلا حيث يوجد أفراد المجتمع الواحد الذين يكسبونها خصائص تركيبية ودلالية، تتوافق والإدراك العقلي لديهم وسلوكهم الاجتماعي، فتتمثل الألفاظ في نظام تركيبي، له بنية خاصة،

(30) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة رمضان عبد التواب، مصر، مكتبة الخانجي، 1980م، ص 106.

(31) من محاضرة ألقاها الدكتور عودة أبو عودة في المهد العالمي للفكر الإسلامي في عمّان بعنوان "كيف تكتسب اللغة"، وانظر من أجل تعزيز هذه الفكرة كتاب (المقصد الأسمى في أسماء الله الحسنى) لأبي حامد الغزالي، ص 27- 30.

ونظام صوتي متشكل من الأصوات العرفية المنطوقة، ومن تتابعات الأصوات التي تستخدم، أو التي يمكن أن تستخدم في التعامل بين الأفراد، أو عند مجموعة من البشر. يقول أبو حامد الغزالي "لا بد من معرفة معنى الاسم ومعنى المسمى ومعنى التسمية ومعرفة معنى الهوية والغيرية حتى يتصور أن يعرف بعد ذلك أنه هو أو غيره فنقول في بيان حد الاسم وحقيقته إن للأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في اللسان.

أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي.

والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري.

والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي[32]".

ويوضح الغزالي مقصده من خلال لفظة (السماء) فيقول – هذه الكلمة – : لها وجود في عينها ونفسها ثم لها وجود في أذهاننا ونفوسنا ؛ لأن صورة السماء تنطبع في أبصارنا، ثم في خيالنا حتى لو عدمت السماء مثلا وبقينا لكانت صورة السماء حاضرة في خيالنا، وهذه الصورة هي التي يعبر عنها بالعلم وهو مثال المعلوم ؛ فإنه محاك للمعلوم، ومواز له، وهي كالصورة المنطبعة في المرآة، فإنها محاكية للصورة الخارجة المقابلة لها. وأما الوجود في اللسان فهو اللفظ المركب من أصوات قطعت أربع تقطيعات يعبر عن القطعة الأولى بالسين، وعن الثانية بالميم، وعن الثالثة بالألف، وعن الرابعة بالهمزة وهو قولنا: سماء، فالقول دليل على ما هو في الذهن، وما في الذهن صورة لما في الوجود مطابقة له، ولو لم يكن وجود في الأعيان لم ينطبع صورة في الأذهان، ولو لم ينطبع في صورة الأذهان لم يشعر بها إنسان، ولو لم يشعر بها الإنسان لم يعبر عنها باللسان. فإذا اللفظ، والعلم، والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية[33].

(32) المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، دراسة وتحقيق، محمد عثمان الخشب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع – شارع بولاق – القاهرة، ص 27- 30.

(33) انظر : المرجع السابق نفسه، ص 28.

واللغة العربية لها أصول تأسست عليها في الشكل الصوتي والبنية التركيبية، وهذه الأصول راسخة ثابتة في أصالتها، وثباتها بيّنٌ في تمسّكها بالشكل الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ، إذ "لا يُخفى في العربية صوت من أصواتها مهما تتقلب تصاريف موادها المختلفة، فمادتها الأصلية محفوظة، ورابطتها اللغوية مصونة. وهذه الأصالة قادرة بثباتها ورسوخها أن تكون منطلقاً للتجديد؛ لأن التجديد يفترض حدوثه وجود أصل فيه حياة وقوة كامنة، فيعيد فعل التجديد القوة والنشاط للأصلي، ويبعثه في أشكال جديدة لا عهد لنا بها، وهذا الجديد يكون في شكله الأولي على غير مثال، كونه إبداعاً، والإبداع مغايرة وخصوبة ونماء، وهذه الحركة التجديدية الإبداعية مرتبطة بعبقرية فكرية، مؤسسة على فهم كامل لقواعد اللغة وقوانينها وأسرارها، فهي مرتبطة بالأصالة اللغوية من حيث الجوهر، ومتجاوزة لأشكالها التي نظر إليها علماء النحو المحدثون كموروثٍ مقدس لا يمكن المساس به. يقول أبو حيان التوحيدي وهو يقارن اللغة العربية بغيرها من اللغات: "فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفرج التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نتذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول وصحة هذا الحكم فالحظ عرض اللغات الذي هو بين أشدها تلابساً وتداخلاً، وترادفاً، وتعسراً وتعوصاً، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً، وأرق لفظاً، وأخف اسماً، وألطف أوزاناً، وأحضر عياناً؛ وأحلى مخرجاً، وأجلى منهجاً، وأعلى مدرجاً، وأعدل عدلاً، وأوضح فضلاً، وأصح وصلاً، إلى أن تنزل إلى لغة بعد لغة، ثم تنتهي إلى العربية، فإنك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماض، سرى قليلا قليلا حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض"[34].

(34) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق، محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2003م، 75/1.

مما لا شك فيه أنّ الدراسة الموضوعيّة العلميّة للنحو العربي ترشد الدارس إلى الأصول النحوية التي بنيت على التفسير والتعليل، وتعطيه صورة حقيقية عن المجهود الذي بذله علماؤنا الأوائل في جمع اللغة وتقعيدها على منهج علميّ، قوامه المنطق الرياضي، فلقد كان أبو الحسن الرمّاني متفنناً في علوم النحو واللغة والفقه والكلام على مذهب المعتزلة، وكان يمزج كلامه بالمنطق.

لم يُجمِّد علماء العرب اللغة في قوالب جاهزة، وفي بطون الكتب، بل قاموا باستقراء نصوصها، ووضع مفرداتها في الاستعمال، بما تقتضيه قواعد تراكيبها، فأغنوا اللغة بالمفردات والمصطلحات وأساليب التعبير، وأصَّلوا مَهَمَّة اللغة في خلق المعرفة اللغوية ونشرها.

ولقد أثبتت اللغة العربية على مرِّ الأيام قدرتها على التلقي، والتفاعل، والتطور، فانبثق عن أصالتها فعل حركي متجه نحو المستقبل المتجدِّد والمتطور، فكانت لغة علم وحضارة إنسانية تنبض بالإخصاب والتوليد والتجديد الإبداعي الوثيق الصلة بأصالته الإبداعية، فنتج عن ذلك إيمان قوي بقدرتها على العطاء والإبداع، لأنَّ اللغة هي المفعِّل الحقيقي للإبداع، وإبداعية اللغة مرتبطة بقوانين النظام الداخلي لتراكيبها، فعلى سبيل المثال: لم يصدر النّحو العربيّ عن انفعال عاطفي، بل عن ابتكار علميّ، له خصائصه ومنهجه الرياضي القائم على مجموعة من القواعد، فكان علماً له أصوله وقدراته ونظراته المؤسسة على مبادئ المنطق الرياضي، وما يقتضيه من ملاحظة المعطيات والظواهر اللغوية، وإظهار التشابه بينها، ثم صوغ المعلومات من هذه المعطيات، ووضع الفرضيات المستمدة من المعلومات المكتشفة، ثم التأكد من ملاءمة الفرضيات للواقع اللغوي بإجراء ملحوظات جديدة، فإذا ثبت عدم تناقضها صيغت نظرية لغوية تفسّر دينامية اللغة وعملها، ثم صارت قانوناً يفسّر قضايا اللغة كلها، فكان النحو العربي مجموعة من القواعد المعيارية جاءت ثمرة تفكير علميّ منطقيّ عند علمائنا اللغويين.

أمّا القول بصعوبتها فهو متهافت أصلاً، فهي ليست بأصعب من بعض أشهر اللغات الأوروبية كالإنجليزية مثلاً ؛ إذ لا يضبط نطق ما هو مكتوب منها ضابط، فهذه الـ (ough) مثلاً تنطق بأربعة أشكال مختلفة في أربعة ألفاظ، مثل: (hough, tough, though, through)، كما أن الحرف (s) يقرأ سيناً، وزايا، وزايا معطشة، أو لا يقرأ، كما أن الألفاظ (corps, is this, measure,). وكثير من ألفاظ الانجليزية لا تعرف طريقة نطقها إلاّ من السياق كما في (present, present) وفي (minute, minute). أما العربية فلكل حرف من حروفها وكلّ كلمة من كلماتها صورة واحدة في النطق.

وبعد، فنحن بحاجة إلى تقديم كلّ الحرص والعناية في حق لغتنا، اللغة التي شرفها الله بأن حملت كتابه المعجز، ذلك هو فضل الله تعالى على اللغة العربية، فيما تحصّلت عليه من القدرة على التعبير عن جلّ المعاني التي جاءت في القرآن الكريم، وأن تستوعب الفكر الإنساني والحضارات الإنسانية. وعلى الرغم من أننا نشاهد بعض مظاهر التطور والعناية، والغيرة على اللغة العربية في بعض المجالات، إلاّ أنّه ينبغي العمل على:

- تعزيز مكانة اللغة في نفوس أبنائها، إذ يجب أن نغرس في نفوس الأبناء حب لغة القرآن، ومعرفة مكانتها، وأن نبين لهم أنها ذات قيمة دينية، وأنها اللغة التي اختارها الله من بين لغات العالمين ليضع فيها رسالته العالمية، وبهذا يقبل المتعلم على اللغة ويتقنها، وبهذا الدافع الديني نَبَغَ فيها من هم ليسوا عرباً في الأصل، ولكن الإسلام عرّبهم، والإيمان قربهم، فسيبويه أبو النحو العربي، والجرجاني صاحب النظم والذوق البلاغي، والبخاري صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله، كل هؤلاء وغيرهم كثير نبغوا في هذه اللغة عندما استقر في قلوبهم أنها من الدين، ومعرفتها -كما يقال- فرض واجب. قال أحد الأعراب

-وقد دخل سوق البصرة، فسمع كلاماً ملحوناً يجري على ألسنة البائعين والمشترين، فعجب لذلك، فقال: سبحان الله! يَلْحنُونَ ويَرْبَحونَ، ونحن لا نلحن ولا نربح![35]، فكأنّ اللحن معاداة لله تعالى، يستوجب غضب الله تعالى، وهذا حقّ ؛ فبقدر ما ينتقص الإنسان من لغة دينه، بقدر ما ينتقص من حقائق هذا الدين في عقله، وقلبه، ولسانه. يقول عودة أبو عودة : "إنّ حبّ اللغة والحرص على تفوقها، وانتشارها، والتحدث بها، يجب أن يكون عقيدة تولد مع النشء الجديد، وإنّ اعتزاز الفرد بلغته ينبغي أن يكون فطرة متأصلة في النفس، يتوارثها الناس جيلا بعد جيل"[36]. لذلك ينبغي لأبناء العربية أن يحرصوا على سلامة لغتهم ؛ فهي الضمان الذي يحفظ على هذه الأمة وجودها، وبها يتميزون. وهي لذلك حق دستوريّ، لأنّ "تعلم العربية في الدول العربية كلّها استحقاق دستوريّ نصّت عليه دساتيرها بتأكيد أن العربية هي اللغة الرسمية للدول العربية، كما أنّه استحقاق وجُودي ؛ يتمثل في ضرورة الحفاظ على الأبعاد القومية، والدينية، والتاريخية لهُوية أبناء الوطن العربي، على اختلاف مشاربهم"[37]؛ لذلك علينا أن نحرص على التأهيل اللغوي اللازم لمعلمي اللغة العربية، والعناية الخاصة بالمراحل التعليميّة الأساسية، وإعادة النظر في المناهج التعليمية بما يتناسب مع معطيات العصر الحديث.

(35) انظر الحادثة : معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (626هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993 م، 23/1.

(36) الموسم الثقافي السابع والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر " اللغة العربية في المؤسسات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها "، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 2009م، ص 161.

(37) تقنيات الإعراب في النحو العربي، حسن خميس الملخ، عالم الكتب الحديث إربد- الأردن، ط1، 2015م، ص 256.

– إحياء مهارة الاستماع في تدريس اللغة العربية و"اعتمادها أسلوبا أساسيا في تعليم اللغة العربية ؛ لأنّ اللغة تتعلم بالاستماع، وعليه فإنّ المناهج ينبغي أن تكون موافقة لهذا الأسلوب من حيث الاهتمام بالنصوص المختارة، وسهولتها، والتغني بها بقراءة سهلة سلسة ثمّ يتم تسريب المعلومات الأساسية – من خلال الاستماع لمعرفة الحروف، والكلمات، والتراكيب البسيطة شيئا فشيئا"[38]. وأن لا نتشاغل بالإعراب النحوي في بداية الأمر، وإنّما ينبغي أن يؤخر لكي يستطيع الطالب أن يفهم فلسفة الإعراب، وهذا مطلب أشار إليه حسن الملخ في كتابه تقنيات الإعراب فقال: "الإعراب النحوي في فلسفته برهان رياضيّ على تطابق الاستعمال اللغوي مع القاعدة النحوية في الأصل بل تأويل، وفي الفرع بالتأويل والتقدير، وهو مطلب استكمالي من مطالب تعليم النحو، يصير الخطأ كلّ الخطأ في أن يجعل مركز النحو وقلبه وجوهره ومعيار فهمه، وأداة إتقان العربية، ووسيلة الاختبار المثلى فيها ؛ فهو أداة من الأدوات، وينبغي أن يؤجل تعليمه إلى مرحلة عمريّة يستطيع الطالب فيها فهمه، والإفادة منه"[39].

– تعريب التعليم الجامعي شرط أساسي لتنمية أدوات التفكير، وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية، فضلاً عن تنمية المعرفة المتسارعة المتجددة. وتعليم اللغة العربية شرط للحفاظ على الهوية، والشعور بالانتماء، وعدم الانسلاخ عن تراثنا وتاريخنا وحضارتنا.

– التنسيق المشترك بين الأقطار العربية؛ فإنّ انفتاح الأمة على ثقافات متعددة في هذا العصر، ومحاولة الاستفادة من منجز الآخر، وإثراء ثقافة الأمة، دفعهم

(38) صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال، عودة أبو عودة، بحث مقدم إلى الموسم الثقافي الثاني والثلاثين لمجمع اللغة العربية الأردني، 2014م، ص 44.

(39) تقنيات الإعراب في النحو العربي، حسن خميس الملخ، عالم الكتب الحديث إربد– الأردن، ط1، 2015م، ص 283.

للبحث على نحو فردي لتحقيق هذه الغاية في غياب مؤسسات العمل المشترك، في وقت نحن أحوج فيه إلى مؤسسة عربية واحدة ترعى شؤون الترجمة والتعريب، والتأليف في اللغة العربية، والترجمة إليها، وتقديم الدعم المطلق من لدن الحكومات العربية لتخرج خير ثمارها وتؤتي أكلها، وذلك من خلال سلطة تشريعيّة عامة قد تكون اتحاد مجامع اللغة العربية له اليد الطولى، أو جامعة الدول العربية.